

الجامع الأموي الكبير بحلب خلال الثورة

الكاتب : محمد سرحيل

التاريخ : ٩ فبراير ٢٠١٧ م

المشاهدات : 1250



بناه سليمان بن عبد الملك سنة ٧١٧ م. ويعدّ من أبرز المعالم الإسلامية والأثرية في حلب؛ إذ يكتسب أهمية كبيرة لا ترتبط بطرازه المعماريّ النادر وزخارفه فحسب، بل بشهادته على تعاقب كثير من الأحداث في تاريخ المدينة والمنطقة. وهو مدرجٌ على قائمة التراث العالميّ.

منذ ٢٠٠٩ وحتى ٢٠١١ شهد الجامع نشاطاً علمياً وتطوراً إدارياً ومالياً ملحوظاً انعكس على تحسّن جميع مرافقه، وهي السنوات التي عُيّن فيها د. عبد الله سلقيني والشيخ يوسف هنداوي في إدارته.

عقب اندلاع الثورة شهد الجامع عدداً من الأحداث التي كان من أبرزها أول محاولةٍ للتظاهر داخله بعد صلاة الجمعة في ٢٥ آذار ٢٠١١، سرعان ما قمعها الشبيحة، وأعقبها على الفور بثٌ مباشرٌ للإعلام الرسمي يُظهر خروج «مصلين» كانت قد جلبتهم باصاتٌ خاصةً بالاتحاد الوطنيّ لطلبة سورية بصحبة سيارات الأمن، في «مسيرة تأييد عفوية». وفي التاسع من أيلول ٢٠١١ خرج من الجامع آلاف المشييعين في جنازة مفتي حلب د. إبراهيم سلقيني، التي تحولت إلى مظاهرةٍ شهيرةٍ سجّلت كإحدى أكبر المظاهرات التي شهدتها المدينة.

منتصف آذار ٢٠١٢، في الذكرى السنوية الأولى للثورة، شهد الجامع احتفالاً مميزاً، استجابةً لدعوةٍ شاركت فيها جميع تنسيقيات المدينة التي حضرت برجالها ونسائها. ولكن سرعان ما استحال الاحتفال إلى مشهدٍ دمويٍّ بعد حضور الأمن والشبيحة، الذين أغلقوا كافة أبواب المسجد وبدأوا بإطلاق الرصاص على المتظاهرين واعتقالهم.

**اعتقال مدير الجامع:**

من أبرز الأحداث التي شهدتها الجامعة أيضاً اعتقال مديره الشيخ يوسف هندواوي، صباح الخامس من أيلول ٢٠١٢، وهو أحد كبار علماء حلب وفرضيها الأول (علم الفرائض والمواريث). وذلك بعد انتشار عناصر جيش الأسد داخل باحات المسجد وانتهاك حرمة بالتدخين والخمور وأعمال أخرى مشابهة، فأصرّ هندواوي -رغم تحذير المحيطين به- على الذهاب إلى المسجد ومنع هذه التصرفات، قائلاً: «أنا خادم بيت الله. هذه مسؤوليتي، وسأبذل ما في وسعي للدفاع عن حرمة المقدسة». وكان ينوي إخراج العناصر بطلب رسمي للأوقاف ونقل النازحين فيه إلى مدرسة قريبة، إلا أنه اعتُقل أمام الجامعة، ومنذ ذلك الحين لا يزال مغيباً ومجهول المصير.

### على خط المواجهات:

في الرابع عشر من تشرين الأول ٢٠١٢ دخل الجامعة على خط المواجهة المسلحة بين الجيش الحر وقوات النظام، انتهت بسيطرة الحر لبضعة أيام فقط، وأظهرت صوراً بثها ناشطون حينها مجوهرات -يبدو أنها مسروقة- ومشروبات كحولية بين أمتعة عناصر جيش النظام الفارين، وتعرض الجامعة إثر ذلك لأضرار جسيمة. في ٢٤ نيسان ٢٠١٣ تجددت الاشتباكات في الجامعة، وكانت الفاجعة باحترق أروقتة ومكتبته الشهيرة، وكذلك سقوط مئذنته الأثرية التي يبلغ طولها ٤٥ متراً. اتهم النظام حينها لواء التوحيد بالمسؤولية إلا أن الأخير دحض هذه المزاعم في بيان وأكد سقوط المئذنة بفعل القصف المدفعي المكثف من النظام، لينتهي الأمر بسيطرة لواء التوحيد على الجامعة بشكل كامل بعد يومين من الحادثة.

### نقل الآثار:

عقب تحرير الجامعة، وخشية على تلف آثاره نتيجة الاستهداف المتكرر من النظام؛ تواصلت بعض الأطراف مع مديرتي الأوقاف والإفتاء التابعتين للنظام في حلب، بهدف دخول مناطق الاشتباك -بوساطة من الجانبين- لحماية وإنقاذ ما يمكن من الآثار، ولكن دون جدوى!

وهنا كان لا بد من إنقاذ ما يمكن نقله من آثار هامة، فتوجّه وفد من مكتب التعليم والثقافة والآثار في مجلس محافظة حلب الحرّة، وقاموا بفك المنبر وباب الوالي (الحجرة المجاورة للمنبر)، إضافة إلى اللقى الأثرية التي تقع داخل حجرة زكريا مع الكرسيّ حامل اللقى، ونقلت جميعها إلى منطقة الشيخ نجار، أواخر ٢٠١٤. ومع تقدم النظام في المنطقة أعيد نقلها إلى مكان آخر، ولكنها لم تدم طويلاً في مكانها، فأعيد نقلها بعد اقتراب داعش. أما الآثار الثابتة فقد وضعت سواتر ترابية عليها لحمايتها بدل نقلها، كالساعة الشمسية والأرضية وهي ما تعرف بالمزودة.

### سيطرة النظام وميليشيات إيران:

منتصف كانون الأول ٢٠١٦ سيطرت قوات النظام والميليشيات الإيرانية على الجامعة خلال حملتها لتهجير سكان حلب الشرقية، وحينها عاد النظام لاتهام الثوار بسرقة آثار الجامعة ونقلها إلى تركيا. وقد التقينا عضو مكتب الآثار سابقاً، عمار طاووز، الذي أكد لنا أن جميع الآثار لا تزال محفوظة في مكان آمن داخل محافظة حلب، وأشار إلى أن جهات عديدة عرضت نقل المنبر إلى خارج سورية إلا أنهم رفضوا بشكل قاطع. وأضاف: «آثارنا وحضارتنا نحن من يحميها وخير من يحافظ عليها».

